وكذب به وانكر ربوبيته وملكه اذ من المحال الممتنع عند كل ذي فطرة سليمة
ان يكون الملك الحق عاجزا او جاهلا لا يعلم شيئا ولا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم
ولا يامر ولا ينهى ولا يثيب ولا يعاقب ولا يعز من يشاء ولا يذل من يشاء ولا
يرسل رسله الى اطراف مملكته ونواحيها ولا يعتني باحوال رعيته بل يتركهم
سدى ويخليهم هملا وهذا يقدح في ملك احاد ملوك البشر ولا يليق به فكيف
يجوز نسبة الملك الحق المبين اليه فاذا تامل الانسان حاله من مبدا كونه
نطفة الى حين كماله واستوائه تبين له ان من عني به هذه العناية ونقله
في هذه الاحوال وصرفه في هذه الاطوار لا يليق به ان يهمله ويتركه سدى لا
يامره ولا ينهاه ولا يعرفه حقوقه عليه ولا يثيبه ولا يعاقبه ولو تامل العبد
حق التامل لكان كل ما ابصره وما لا يبصره دليلا له على التوحيد والنبوة
والمعاد وان القران كلامه وقد ذكرنا وجه الاشكال بذلك في كتاب ايمان
القران عند قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم
وذكرنا طرفا من ذلك عند قوله وفي انفسكم افلا تبصرون وان الانسان دليل
بنفسه على وجوب خالقه وتوحيده وصدق رسله واثبات صفات كماله
فقد بان ان المضيع مغرور على التقديرين تقدير تصديقه وتقدير
تكذيبه وشكه فان قلت كيف يجتمع التصديق الجازم الذي لا شك فيه
بالمعاد والجنة والنار وتخلف العمل وهل في الطباع البشرية ان يعلم
العبد انه مطلوب غدا الى بين يدي بعض الملوك ليعاقبه اشد عقوبة
او يكرمه اتم كرامة ويبيت ساهيا غافلا ولا يتذكر موقفه بين يدي الملك
ولا يستعد له ولا ياخذ له اهبته قيل هذا لعمر الله سؤال صحيح وارد على
اكثر هذا الخلق واجتماع هذين الامرين من اعجب الاشيا وهذا التخلف
له عدة اسباب احدها ضعف العلم ونقصان اليقين ومن ظن ان العلم
لا يتفاوت فقوله من افسد الاقوال وابطلها وقد سال ابرهيم الخليل ربه
ان يريه احياء الموتى عيانا بعد علمه بقدرة الرب على ذلك ليزداد طمانينة
ويصير المعلوم غيبا شهادة وقد روى احمد في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال

نسخة الاستدلال

لعله وجود

انه قال ليس المخبر كالمعاين فاذا اجتمع الى ضعف العلم عدم استحضاره
وغيبته عن القلب في كثير من اوقاته او اكثرها لاشتغاله بما يضاده او يضم
ذلك الى تقاضي الطبع وغلبات الهوى واستيلا الشهوة وتسويل النفس وغرور
الشيطان واستبطاء الوعد وطول الامل ورقدة الغفلة وحب العاجلة ورخص
التاويل والف العوائد فهناك لا يمسك الايمان الا الذي يمسك السموات
والارض ان تزولا ولهذا السبب يتفاوت الناس في الايمان حتى ينتهي الى ادنى
مثقال ذرة في القلب وجميع هذه الاسباب ترجع الى ضعف البصيرة والصبر
ولهذا سبحانه مدح اهل الصبر واليقين وجعلهم ائمة الدين فقال تعالى
وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون **فصل**
فقد تبين الفرق بين حسن الظن والغرور وان حسن الظن ان حمل على العمل
وحث عليه وساق اليه فهو صحيح وان دعا الى البطالة والانهماك في المعاصي فهو
غرور وحسن الظن هو الرجا فمن كان رجاؤه حاديا له على الطاعة زاجرا له عن
المعاصي فهو رجا صحيح ومن كانت بطالته رجا او رجاؤه بطالة وتفريطا فهو
المغرور ولو ان رجلا كان له ارض يؤمل ان يعود عليه من مغلها ما ينفعه
فاهملها ولم يبذرها ولم يحرثها وحسن ظنه بانه ياتي من مغلها ما ياتي من حرث
وبذر وسقي وتعاهد الارض لعده الناس من اسفه السفهاء وكذلك لو حسن
ظنه وقوي رجاؤه بان يجيه ولد من غير جماع او يصير اعلم اهل زمانه من غير طلب
العلم وحرص تام عليه وامثال ذلك وكذلك من حسن ظنه وقوي رجاؤه
في الفوز بالدرجات العلى والنعيم المقيم من غير طاعة ولا تقرب الى الله بامتثال
اوامره واجتناب نواهيه وبالله التوفيق وقد قال الله تعالى ان الذين امنوا
والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله فتامل
كيف جعل رجاهم باتيانهم بهذه الطاعات وقال المغترون ان المفرطين
المضيعين حقوق الله المعطلين لاوامره الباغين على عباده المتجرين على
محارمه اولئك يرجون رحمة الله وسر المسالة ان الرجا وحسن الظن انما
يكون مع الاتيان بالاسباب التي اقتضتها حكمة الله في شرعه وقدره وثوابه وكرامته

لعله واليقين

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)